شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / الرقائق والأخلاق والآداب

الغيبة (خطبة)





أحمد بن عبدالله الحزيمي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 23/1/2025 ميلادي - 24/7/1446 هجري

الزيارات: 3833

الغيبة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، أمر عباده بالقول، ونهى جل وعلا عباده عن الفحشاء والمنكر في الأقوال والأفعال، ما ظهر منها وما بطن، وأشهد أن لا إله إلا الله، يحب التوابين، ويحب المتطهرين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أزكى البشر خلقًا، وأعفهم لسانًا، وأطيبهم قلبًا، وأكثرهم ذكرًا، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وتمسَّكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لبعض أصحابه لما مَرَّ على بغل ميت: «والله، لأن يأكل أحدكم هذا حتى يملأ بطنه، خير من أن يأكل لحم مسلم»؛ رواه ابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

أيها المؤمنون، إن أشد ما يكرهه الإنسان وينفر منه طبعه ويتقزز منه، أن يتناول لحم ميت ليأكله، وأشد منه غلظةً وأكثر منه بشاعةً أن يكون ذلك الميت أخاه! بهذه الصورة البشعة المستقذرة، شبَّه الله الغيبة وما يتناوله المغتاب من أخيه، وشبَّه الله الغيبة بهذه الصورة؛ لينفر الناس منها كما ينفرون من ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12].

أيها الفضلاء، يا ترى ما الغيبة؟ وما التعريف الشرعي لها؟

الغيبة كما قال الإمام النووي هي: «ذكرك الإنسان بما فيه مما يكره (في عدم حضوره، من سب وشتم)؛ سواء في بدنه، أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خُلُقه أو خَلْقه أو ماله، أو ولده، أو زوجه، أو خادمه أو ثوبه أو حركته أو طلاقته أو عبوسه، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظ، أو إشارة، أو رمز، أو كتابة أو نحو ذلك»؛ ا.ه.

والغيبة لا تختص باللسان:

فحيث ما أفهمت الغير ما يكرهه المغتاب ولو بالتعريض، أو الفعل، أو الإشارة، أو الغمز، أو اللمز، أو الكتابة، وكذا سائر ما يتوصل به إلى المقصود كأن يمشي مشيه فهو غيبة.

معاشر المسلمين، الغيبة حرام بإجماع أهل العلم كما نقل ذلك "النووي"، وقد نقل "القرطبي" الاتفاق على كونها من الكبائر؛ لما جاء فيها من الوعيد الشديد في القرآن العظيم والسنة المشرفة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»؛ رواه مسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»؛ رواه الإمام أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

وهل تعلم يا عبد الله، أن أشد أنواع الربا وقوعك في عرض أخيك؟ قال صلى الله عليه وسلم: «إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق»؛ رواه أبو داود، وصححه الألباني.

بل أخطر أحاديث الزجر عن الغيبة- كما قال الإمام النووي- حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا- تعني قصيرة- فقال: «لقد قلت كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته»؛ رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

ومعنى مزجته؛ أي: خالطته مخالطةً يتغير بها طعمه أو ريحه؛ لشدة قبحها، وإذا كانت كلمة واحدة بهذه الخطورة والتأثير في البحر، وهو من أعظم خلق الله، فما بالك بترديد كلمات الغيبة، وتكرارها يومًا بعد يوم؟ أو ربما كل يوم!

قال النووي: «هذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئًا من الأحاديث بلغ في ذمها هذا المبلغ».

عباد الله، مرض الغيبة مرض لم يسلم منه إلا من وفقه الله، وقليل ما هم، وإلا فقد اجترأ على الغيبة والبهتان كثير من الخلق اليوم في المجالس والاجتماعات، في مقار العمل والاستراحات، يفرون في الأعراض فتكًا وفريًا، فهذا بخيل، وذاك نوَّام، والآخر أكَّال، وذاك أحمق، وذلك لا يخرج من جيبه ريال، وذاك مغرور، والآخر بطال، وهذا بدين، وذاك نحيل، وهكذا دواليك مما تمجه الألسن، وتلوكه الشفاه.

إن من الخسران المبين أيها الإخوة أن يجتهد المرء رجلًا كان أم امرأةً بجمع حسنات عظيمة من صلاة وصيام وبر وإحسان، فيهدرها بكلمة تنقص أو ازدراء أو تفَكُّه، قال صلى الله عليه وسلم: «فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»؛ رواه مسلم.

بل لن يدخل أحد الجنة وعنده مظلمة لأخيه حتى يقتصَّ منه، ففي صحيح البخاري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة».

قال ابن القيم رحمه الله: «وكم ترى من رجل متورّع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»؛ أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

وحتى تتصوروا خطورة اللسان أيها الكرام استمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان [يعني تحذره وتذكره] فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»؛ رواه الترمذي وحسنه الألباني.

فلا تستسهل يا عبدالله إثم الغيبة وضررها وخطرها، حتى لو رأيت الناس لا يبالون بها؛ فذنبها عظيم، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15].

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه، وهو من هو، يمسك بلسانه، ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد»؛ لتواضعه، وشدة محاسبته لنفسه.

اللهم طهِّر ألسنتنا من الكذب والغيبة والنميمة، واجعلها عامرةً بذكرك وشكرك.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان، ذي الفضل والإحسان، والصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فيأيها الكرام، ويعظم خطر الغيبة، ويعظم إثمها إذا كان الحديث في أشخاص لهم فضل ومكانة ونفع في المجتمع، خصوصًا أهل العلم والصلاح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولذلك تغلظت الغيبة بحسب حال المؤمن، فكلما كان أعظم إيمانًا كان اغتيابه أشد».

عباد الله، إن البعض ينتقص من والديه، أو من إخوانه، ولا يظن أن تلك غيبة، وهي من أشد أنواع الغيبة، والبعض يظن أن الفقراء والمساكين لا حرمة لهم، وأعراضهم مباحة له، فتجده في مجالسه لا يتورع عن اغتياب عُمَّاله من سائقين، أو من خدم أو غيرهم، ويتهكَّم بهم، ويسخر منهم، تأمل في هذا الحديث عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: «اعلم، أبا مسعود، للهُ أقدرُ عليك منك عليه»، فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، هو حُرٌّ لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار»، أو «لمستك النار»؛ رواه مسلم.

أيها الناس، ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك؟» قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، مقرًّا لإنكار معاذ على ذلك المغتاب لأخيه، ومشرعًا لمثله بالرد والذب.

فالواجب على من جلس في مجلس غيبة، الإنكار على أهلها، والذب عن أخيه قدر ما يستطيع؛ فإن في ذلك خيرًا عظيمًا. قال صلى الله عليه وسلم: «من ذب عن لحم أخيه بالغيبة،[أي: بظهر الغيب] كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار»؛ رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

عبد الله، فإن قلت: كيف الخلاص والتوبة من الغيبة؟

فيقال: من أراد كفارة الغيبة فعليه بالاستغفار لمن اغتابه، وذكره بمحاسنه التي فيه في المواطن التي اغتابه فيها.

وأما إعلامه فلا؛ لأنه في الغالب يوغر صدره، بل يهيج عداوته.

أخيرًا: أتدرون ما الغبن يا عباد الله؟

الغبن والخسارة الفادحة على المغتاب يوم القيامة، حين يعطى كتابه منشورًا، فيبحث عن حسنات كثيرات عملها، لكنه ما وجدها! فيقال له: محيت عنك باغتيابك الناس. وضده رجل يرى في كتابه حسنات لم يعملها فيقول: رب لم أعمل هذه الحسنات، فيقال: إنما كتبت باغتياب الناس إياك.

حقًّا: إنه يوم التغابن، فاختر لنفسك أن تكون غابنًا أم مغبونًا؟

اللهم يا واسع المغفرة، اغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وطهِّر ألسنتنا من الغيبة والنميمة، وأخرجنا من هذه الدنيا ولا أحد من خلقك يطلبنا بمظلمة.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد.
